Crying and its repercussions in the group (the Fedayee and the Beast) by Amal Al-Zahawi: an objective approach

Assist. Prof. Mariam Abdulnabi Abdulmajeed
University of Basrah
Center of Basrah and Arabian Gulf Studies
E-mail: Mariam.ALNajjar@uobasrah.edu.iq

Abstract:

The scenes in Amal Al- Zahawi's Diwan (the Fedayee and the Beast), in which tears are present and the manifestations of the woman's world and her interactions with the universe and others, reflect wishes and frustrations. So, crying is demonstrated in the context of love by stating that it is an action to represent an experience that raises the ego to the point of crying, where it is provoked by a pain in which it is psychologically alienated in her relationship with the other. As the act of crying and tears express as a symbol of her need for him spiritually and physically by illuminating unique reservoirs in her conscience that relive the depth of the intense relationship with him, crying is also demonstrated in the context of friendship. It stirs the soul when he is gone; making the description of the loss you feel when you are far away obvious, where there is intense suffering that is expressed through crying and the accompanying tears. Crying was described in the context of time as a symbol that demands unique values in functions that ask for the movement of sentiments that arouse the self over the course of time. The saying of crying comes to stress its affiliation with a condition of profound psychological rupture. The results of the picturing sequences experiences have been ruminated in his movement.

Key words :the Fedayee and the beast, Amal Al-Zahawi, crying and its repercussions

البكاء وتداعياته في مجموعة (الفدائي والوحش) لآمال الزهاوي: مقاربة موضوعية

أ.م. مريم عبدالنبي عبدالمجيد
جامعة البصرة
مركز دراسات البصرة والخليج العربي
E-mail: Mariam.ALNajjar@uobasrah.edu.iq

الملخص:

تبنى ديوان (الفدائي والوحش) لآمال الزهاوي التصريح بمواقف تعبر عن أمنيات وإحباطات يحضر فيها البكاء ومايجتره من مظاهر تجهر عن عالم المرأة وتفاعلها مع الكون والآخر، فتجلى البكاء في موضوع الحب بالقول بفعله لتصوير تجربة تثير الأنا لحدّ البكاء، حيث يستفزها وجع تغترب فيه نفسيا في علاقتها مع الآخر، كما يعبر استشفاف فعل البكاء والدمع كرمز للتعريف بحاجتها له روحيا وجسديا عبر إضاءة مكامن خاصة في وجدانها تسترجع عمق التعالق الحاد معه، وتجلى البكاء ومايستدعيه من ملامح التوق للآخر ورغبة التواصل معه بالانفتاح على عالم المرأة، وأحلامها، في مسار يضمّ حراك المشاعر التي تستفزّ النفس حين يغيب، فتستجلي التعريف بالفقد الذي تستشعره عند البعد، حيث يسكنها وجع كبير تعبر عنه بالبكاء ومايرافقه من دموع، وتجلى البكاء في موضوع الموت عبر استلهام فعل البكاء وبحر البكا والعويل والإثم المغلف بالبكاء، للتعرف بعلاقة الذات بآخر مفقود لايوجد أمل في عودته، فيأتي القول بالبكاء لإضاءة انتمائها إلى حالة تمزق نفسي كبير، وورد البكاء في موضوع الزمن كرمز يستدعي قيما خاصة في دوال تستدعي حركية المشاعر التي تستفز الذات عبر مسيرة الزمن، بالقول بآثار لتجارب تصور متتاليات يجترها في حركته.

الكلمات المفتاحية: الفدائي والوحش، آمال الزهاوي، البكاء وتداعياته

مدخل:

الشاعرة آمال عبدالقادر صالح محمد فيضي الزهاوي، ولدت في بغداد عام١٩٤٩، جدّها الشيخ محمد فيضي مفتي بغداد، وعمها الشاعر المعروف جميل صدقي الزهاوي، تخرجت في جامعة بغداد كلية الآداب قسم اللغة العربية، أنشأت مع زوجها في ثمانينيات القرن الماضي شركة للطباعة تضم دارا للنشر باسم شركة عشتار، وكانت من أوائل من تبنى النشر للمبدعين الشباب تحت عنوان (منشورات آمال الزهاوي).

تمثلت في شعرها الكثير من الأساطير، كما كتبت قصائد وجدانية وتأملية صوفية، وقد كان الرمز حاضرا لديها بصورة ملفتة.

أول ديوان نشرته مجموعتها (الفدائي والوحش) عام ١٩٦٩، وعن عذابات الأُمة العربية كتبت ديوان (أُخوة يوسف) عام ١٩٧٩، وكان هذا الديوان عبارة عن قصيدة واحدة طويلة صورت فيه الوجع الكوني والقومي عبر تشكيلات تشهد بقدرة بارعة على امتلاك ناصية فن الشعر، وفي ديوانها (التداعيات) الصادر عام ١٩٨٢ صرحت بهموم المرأة الذاتية عبر تجليات مشحونة بالرمز والشجن.

لقد كانت آمال الزهاوي من جيل مابعد الرواد أو مايسمى بجيل الستينيات الذي قدم الكثير، وبرغم مانالـه شعراؤه من اهتمام نقدي وأكاديمي كبير إلاّ أن الشاعرة آمال الزهاوي على الرغم من كونها من طلائعه لم تنل استحقاقها النقدي لا إعلاميا ولا أكاديميا، وظل شعرها متوارياً عن النقد لأسباب مجهولة على كثرة كتاباتها التي منها: الطارقون بحار الموت (١٩٧٠)، دائرة في الضوء دائرة في الظلمة (١٩٧٥)، يقول قس بن ساعدة (١٩٨٦)، الشتات (٢٠٠٠)، آبار النقمة (٢٠٠٩)، وبرغم مرضها وإصابتها بالشلل فقد كانت مستمرة بكتابة الشعر حتى وفاتها بتاريخ ١١ / ٢ / ٢٠١٥ عن عمر ناهز السبعين عاما وهي بانتظار صدور ديوانها الشعري (نجمة سومرية).

المقدمة:

يتلاحم القول بالبكاء وتداعياته في مجموعة (الفدائي والوحش) مع التعريف بتجارب تشفّ عن عالم المرأة، عبر إطار يعكس حاجات وإحباطات تترشح عنها أوجاعها عند الشغل في النتاج الإبداعي، ويستدعي موضوع البكاء وما يتبعه من تداعيات مواقفا تجهر بامتلاء النفس بصلات يتجه النص إلى كشف متتالياتها بإضاءة هواجس تثار من ارتباط البكاء بعواطف تضمّ تمظهرات تأخذ من آفاقها أبعادا تصور ملامح التجربة في عمق حالات التأزم العاطفي.

وتتحدد في المجموعة عبر استشفاف موضوع البكاء اتجاهات تلتزم التعريف بمواقف أخذت في الذات ندوبا لا تمحى، تتمثل بارتباط وثيق بين البكاء باعتباره فعلا يتلاحم بموجّه يستفز النفس، ويسند في انثياله الذي يتمخض عن إشارات تفسر علائقا خاصة للأنا مع الآخر والكون، وقد تبدى القول به توصيفا لواقع مرفوض في خضم حياة موغلة في الوجع، في الوقت الذي أخذ التعبير عن أبعاد متلاحمة مع فعله وما يستتبعه للجهر عن هواجس تتجه عبر ورودها في الذات باستفزاز الوجع الكامن ذاته وفتح منافذه، والتعريف بمساراته، بالقول بـ :

١. الحب: الذي تبنى القول بفعل البكاء والدمع.
٢. الحنين والشوق: الذي تبنى القول بفعل البكاء وخيوط الدمع.
٣. الموت: الذي تبنى البكاء فعلا واسما والعويل.
٤. الزمن: الذي تبنى فعل البكاء ولذة الدمع.

١/ الحــب:

يستلهم الديوان البكاء في فضاء موضوع الحب لبيان أبعاد فعل البكاء بصيغة المضارع والقول بالدمع عبر محور يصف تجربة خاصة للأنا، ويدل عبر استشفافه على مناخ يتشكل في مشهد تستثار فيه الأنا لحد البكاء الذي يحمل في هذا المسار منافذاً ترشح تداعيات الصلة مع هاجسه، ويصور اغتراب الذات معه، وتتبين في فضائه مظاهر تلج للتعريف بحالة نفسية للوجع العالي الذي يسهم النص في رسم فضاءاته، بتسليط الضوء على مكمن خاص من عمر الحب، نحو قولها في قصيدة (الشرنقة) التي تصور وجع الحب مع الأم/الأرض:

وأنتِ الثقل أنت القيد.. يدميني
ووجهك غائم التعبير أعشقه
وأكرهه!!
أعذبه.. فيصفعني، ويبكيني!!

وإني الجرح والسكين!!
مأساة على رجلين
وكنت الطفلة النجمية الأعماق، من صادت
ذيول الشمس في الطين[١]

ويتضمن استشفاف البكاء بوصفه رمزا للتعريف بتجربة الذات مع الحب رؤى تمثل التفاعل الكبير الذي يراود النفس في حاجتها للآخر روحيا وجسديا،((وشعر المرأة العراقية في مضامينه الذاتية وفي مقدمتها مضمون الغزل وهو وعاء عواطفها قد اصطبغ بلون الأسى والخيبة والحرمان والقلق والتحدي والانفلات والتطلع إلى مسحة نزرة من التفاؤل والتوق إلى فك الإسار وكسر القيود وشم هواء الحرية العذب في الحياة والفكر والشعر بعاطفة مشبوبة وبلغة نسوية شفافة تحمل عواطف الأنثى غزلا))[٢]، ويثري البكاء بما يفرزه من تداعيات فضاء النص بإضاءة مواطن خاصة في النفس في علاقتها مع الآخر عبر استجلاء صور تستدعي مواقفا تجهر بعمق التعالق الحاد معه، وتؤكد رزوح النفس إلى ضغوط يحرص النص على كشف مساراتها والتعريف بحدة الشعور الذي يعتري النفس في حاجتها للتواصل الحي معه، تقول في قصيدة(سنابك البعاد):

غيّبت ما عندي، صبايا الحب تبكيني
وتنثر الرمالْ
هذي أنا،
والدرب سور!!
يصدّني عن روح عالمي المضبّب الأثير!
بعدتُ عنه لا أعيه، فالرؤى
تشدّني إليه للوراء، والمدى يدانْ
تبلّدت في خاطري حوافر الحصان!!
تدقّ رأسي وامتداد الأرض في عيني يدورْ
تنهبه بقسوةٍ سنابك البعاد والصدى[٣]

وينتمي (الدمع) بوصفه مجلى للبكاء إلى وجع نفسي عال لفقدان حاجة كبرى حين يحمل معان تشير إلى صلات روحية ترهق الذات، وتتمركز في العجز الذي يحيل الأنا إلى فعله الذي يعد منفذا للتعبير عن ضيق حاد وحاجة لا يمكن الاستغناء عنها، ولعل الهاجس ذاته الذي يستثير الأنا ويكمن في فضاء النص عند الشغل في المنتج الإبداعي يتبدى إسقاطا لحواس مكبوتة تجهر بعمق التلازم وحدته للتواصل مع الكون، فتقول:

وصارت جعبتي الرياح، بطعم الريح والبحر
بلا عمق.. ولا سرّ
وفي يوم من الأيام طرت مع الرؤى
لأني كدت أن أرتفّ عاشقةً
وكدت الأمس أن أغتال عنف الريح
أولع في المدى دمعي
فهامت رغوة الأوهام في نبعي
لأنا حين نعشق، ندرج في دجى الشكّ
لماذا نحن لا ندري
ويذبح فكرنا اليقظان خفق الشوق بالسرِّ
وها أنا.. شراع ميت الظلّ..(٤)

٢/ الحنين والشوق:

يستحضر الديوان القول بمشاعر الحنين والشوق ويتلازم دلاليا معها عبر توصيف هواجس فعل البكاء بصيغة المضارع والماضي واستلهام القول بخيوط الدمع للتعبير عن فقد حاد للآخر، بتضمين صور تكشف تجارب خاصة حينما تتشكل في النفس ندوبا تتلاحم مع حساسية عالية تواردت بناها في الفعل الخاص بالبكاء الذي يرد في هذا المضمار للتعبير عن مناخ التجربة الحياتية التي يراد الجهر عنها في فضاء النص الملتزم القول به، حيث ((يعكس الفن ويدرك على طريقته الخاصة الحياة التي تقع خارج حدوده، ويمكن أن تكون هذه الحياة في علاقاتها وحوادثها الخارجية أو العالم الداخلي للحياة البشرية، المنتمي دائما إلى منشئ الأعمال الفنية، أو–في الأخير–حياة الطبيعة المرتبطة بهذه الصور أو تلك بالحياة البشرية ودائما ما تتحدث الأعمال الفنية عن شئ ما إلى قارئيها، إلى سامعيها، إلى مشاهديها، وتكشف لهم عن شئ ما، وتقدم لهم إمكانات التعرف إلى شئ ما))(٥)، وتبدت الانفعالات التي ترافق حالة البكاء ومايستدعيه من آلام واضحة في مسار الحاجة إلى التواصل مع الآخر البعيد، حينما جاء فعله في مستوى يشف عن ملامح الحاجة له التي تصدرت بنى النص عبر توصيف الداخل المكتنز رغبة عليا إلى التواصل، كقولها في قصيدة(سفائن الغربة):

علام يهيم في ذهني
سراب الصيف، لا هاما!
تجوس الأفق جنّ الليل تعبره

بمركبةٍ أتت للرعب، تطوي الصمت أياما
وأياما
وتطرق في الرؤى بابي!
ليطوي الجدب أعتابي
ويمضي اليوم إثر اليوم في شوق بلا لقيا
يخاف الضوء أن يلقاه في غابي
وتعرفه عيون السهد تبكي
مهرها الكابي (٦)

ويلتزم هذا المضمار بكشف مكامن البكاء كبعد ينفتح على عالم الأنثى ويصور في إطاره أحلامها وإحباطاتها في صلتها مع الآخر، عبر إيراد الإطار ذاته الذي يحتوي فعل البكاء في مسار القول بالحنين والشوق الذي يشكل علامة تستدعي محيطا خاصا يضم الأنا مع حراك المشاعر التي تستفز النفس في حاجتها إلى التواصل الحي، وتبدى القول بالبكاء في هذا المحور رؤيا تشف عن تعالق حاد يكشف الذات المحبطة التي تجد في الآخر تكاملا روحيا يتلمس النص كشف متتالياته بإسقاطها نصيا في العمل الإبداعي، الذي يكمن في أبعاده توصيف **مشاعر متلاحمة مع بيئة قاحلة، تقول:**

جعبتي قاحلة الأبعاد تصطكّ
ومن جوعي بكيتُ
وتحملتُ بشئ من خيال الأمس
واجتزت صخور
وتلفتُّ لصحبي!
بمرايا الأمس شئ..
.. من ظلال الرعب والحب، يغورْ
ها أنا.. زادي شوقي
وعلى ضوء رؤاه اليوم من بعدي أتيتْ
أتملى من وجوه الأمس أطيافا.. تمادتْ
يا رياح الأرض طيري
فمن الشوق اهتريتْ (٧)

ويتلاقى في البعد الموضوعي من الحنين والشوق حين القول بالبكاء اشتغال النفس بصلات تنفتح على تجليات تتمظهر في أركانه باستشفاف آفاق تجهر بقيمة كبرى تتملك النفس، وتصف في فضاء النص عبر القول به دوال تجسد حدة المشاعر التي تقترن بجزيئات تنبعث في هاجسها لتعود بإسقاط أبعادها لتقديم صورة حية من تلاحم الذات بالكون، وقد تجلت عند القول به لحظات من عمر الأنا تتقد في النفس وتصور التوتر العالي الذي يتحرك في صور وردت في النصوص التي تصور طبيعة الإحساس الذي يرافق فعل البكاء، حيث تضمر السعادة ويبدو البكاء ملاذا يمس الداخل الفارغ، نحو قولها:

بكيت وكنت تنتفضين من ألم
وتشتملين صمت الكبر.. تحتملين
كل حنين جذر الريح للتربه
بكيت وأنت لا تدرين هل ناءتْ
تجدّف منك في الكابوس أوهام!!
أم ان الليل دق حجارة الظلماء ثانيةً (٨)

وكانت الرؤيا التي تستجلي التعريف بتأثير الفقد الناتج من البعد يستدعي الولوج إلى أعماق تبدت في صلب النص للتصريح عن وجع كبير، يصاحب فعل البكاء عبر القول بالدمع، ويتوسل عبر استشفافه كرمز إلى التعريف بحدة الوجع ذاته عبر تشكيل مشاهد ترد لتحديد تمظهراته التي تتموضع في فضاء النص عبر دوال ترتبط وجدانيا للتعريف بالداخل، وملامح هواجسه، نحو قولها في قصيدة (شئ صغير):

فيا تهويمة المجداف
عرّي رأسي المشدود من بقيا
حنين غائم فيه
صغير لست أدريه
لتنبض ملء أعراقي
خيوط الصمت والتيه
فشديني..
على ظل بجنح الأفق شديني
وطوفي، في صليب الريح ذريني
فإني يا مرامي الصمت بين الحين والحين
أحن إلى بقايا من خيوط الدمع
تأتيني!! (٩)

والصور التي ترد في هذا البعد توحي بظواهر نفسية محبطة يتحقق في بناها التعريف بمصدر القلق الذي يعتري النفس، وتجتمع في أبعادها دوافع ترتبط ذاتيا بحاجة مفقودة وردت في خطاب يكتمل في بناه التعريف بالتوق إلى الآخر، وتعرف بعمق حالة الفقد التي يستجيب لها فعل البكاء حين يصور رفض الواقع الذي يحيط بالأنا،((فالشعر–تلك الرؤية المكثفة والفاعلة–التي تلعب بها الأحاسيس الذاتية دورا أساسيا في عملية تركيبها))[١٠]، والنمط الذي يستلهم فعل البكاء وتداعياته يتجلى في الذات عبر تمظهراته التي تنفتح على عالم يعكس هواجس عميقة، وردت في علاقة الحضور والغياب التي تمثل المرأة والرجل ركنيها.

٣/ الموت:

يرد الموت باستلهام: فعل البكاء،وبحر البكا، والعويل، والإثم المغلف بالبكاء، لتصوير علاقة الذات بآخر مفقود، ولفظ الموت((يدور على فعل الزوال وتكدير الإحساس بالمآل:زوال القوى النامية والقوى الحسية والقوى العاقلة، وتوظيف المجاز في التعبير عن موت الشعور بالأمان والسعادة والاطمئنان))[١١]، ويتوجه الخطاب في موضوعه عبر تصوير أبعاد تستقر في مهيمنة تجهر بصلات تتوهج في فعل البكاء عند حالة الفقد التي لا أمل في ترقيعها نفسيا، فيستنفر النص عبر دوال مأخوذة من البكاء بوصفه حالة تتداعى فيها النفس لبيان ملامحها التي ينقطع منها الأمل، فتقول في قصيدة(ضياع):

الدار بين ظلالها لن تحتويكْ
أبدا.. محال تحتويك
ها أنت ذا تمضي بعيد
ترتد في يأس عنيد
حيث الحنين يرف فيك
وتبح لهفات الرجوع
وتغيب في خطو الجموع
فألف خطوي في خطا
ترجيعها معنى الضياع
في دربها الطيني ينداح الصدى
أبكي.. أهمهم..
لو أراك
فيصدني طيش الجموع

ويعيدني دربي البليد!
بلهاء أرنو.. (١٢)

ويتبدى صوت الأنا ملتحما مع وعي ينهض النص بتصوير متتالياته التي تنتظم في مجلى الموت /الردى، حيث يعمد إلى توظيف ثيمات خاصة تتعالق مع استشفاف مبنى البكاء كفعل للتصريح بعمق الآثار التي تكتنز الداخل وما يترتب عليها من أوجاع، متعالقة مع ذكر مشاهد تتبدى في هاجس يتصل مباشرة مع النفس العطشى عبر التركيز على ذكر أحداث وتفاصيل منتزعة من عمق التجربة، تتجلى في الفضاء النصي الذي يلتزم الكشف عن ملامح الداخل عند تلاشي زمان لا يمكن عودته مطلقا، كما في قولها الوارد في قصيدة(الفدائي والوحش):

فتمسكت بجرح الأرض.. كورت به كل مصيري
لتهز البدء للقربان أجراس الفداء
وتعلقت بجذر الأرض، فامتدت
حبال للسماء
ودروعي الصخرة الصماء، أو نسغ الردى
حين تطفو أذرع الزيتون في بحر البكا
تتعرى في رؤى الأهداب صوره
من ترى تمحو يداه.. ؟
غبش الليل ويجتز من الشمس ظفيره (١٣)

والرؤيا التي تستشف مبنى البكاء ترسم تداعياته وتلاحمها مع ثيمة الموت التي ترد باجترار لواعج النفس التي تنتمي إلى أقصى حالات الألم، ويستلهم موضوع الموت باستشفاف فعل البكاء مداخلا تتجه إلى إثارة أجواء خاصة لتوصيف تداعيات تتجلى فيها قيم تحترز التصريح عن كوامن الداخل الفارغ، والمتشبع بآلام كبرى، نحو قولها:

نشيج الريح أنفاس.. من التجديف في الغربه
ولو كانت بها كل سياط الأرض منصبه!!
فظل الموت لا يبكي
مضاعا ما درى قلبه
وإني هاهنا لحن أشل دونما رغبه!
تركتكَ دونما خبر!
لمست رحيلنا من دون توديع

وترجيع

لأني كنت أحلم أن تلفك لعنة السهر

إذا ما غابت الساعات في السفر (١٤)

وقد تلبس البكاء رمزا يعمد إلى رؤيا تشف عن معان تتمظهر في مشاهد تتخذ من البكاء إطارا يتجه إلى التصريح عن مواقف الأنا في لحظة الإبداع الشعري،((فالشعر يمكن الإنسان أن يطرح عن كاهل عصبه ودماغه ما يخزنان من انفعال مبالغ فيه ويكتمان من مشاعر كثيفة وأحاسيس مأزومة ليصل بهما إلى حيث يتحقق سلام داخلي يكون الإنسان أحوج ما يكون إليه فيما ينهض به من هدف أو شأن، والشعر في هذا، شأن الحلم)) (١٥)، وتبدى القول بالبكاء وجها يحمل ملامح تستجلي فكر الأنا وتشف كوامنها، عبر امتلاكه مدى ينفتح في فضاء النص باستدعاء هواجسه، ويأخذ دورا بارزا في البوح عن الكوامن ذاتها التي تستجمع في النص الذي يصور تجاربا أخذت مجالا رحبا عبر معطيات تحيل إلى موت الضمير في قولها:

أنا المرمية الأوتار أشوي العار بالثار

وما زالت مقادمه !

جراد الغرب ما زالت مقادمه

تدنّس حقلنا الضاري

ضمير العالم المجنون من صخر وأحجار

فيبكي في جماجمنا، موات ضمائر المتمدنين

دما

ضمير الغرب في الساحات مصلوب

ويهوي الصمت.. تجهش في المدى

أنفاس مجروح (١٦)

ويحمل البكاء وتداعياته في القول بالموت أطر تشف عن محاكاة لأحداث تاريخية كعام الفيل، تجتمع في مدياتها عناصر تكشف عن ملامح الأنا بالقول بالعويل الذي تلبس تمظهرات خاصة وفي نطاق يرد في أبعاد المشهد الذي يصور هاجس الموت عبر آفاق تنتمي إلى الداخل، وتشف عن مناخ يحتوي الذات ويبنى في خطاب يصور أعماقه بقولها:

إني هنا أتنفس الأصداء بالبعد !

ضمرت على ألبانها الأثداء !

وشباك ذاك اليوم لن تجدي !

فأبحر لتبصر كيف موتك في يدي
ومواقد الأحزان ترغو عبر عام للعويل !!
وجباهنا كالرمل، تمتص الخواء !!
والحصرم اللهبي في الأضراس قوت الجيل..
والموت، حصد الموت جوف ناتئ
يلتم في أعقاب خطو الفيل (١٧)

وتتجلى في موضوع الموت عند القول بالبكاء ظواهر تشتغل في اتجاه يعمل على بيان حتمية طبيعة الكون، تبدت في مدى يشف عن تأثرات في النفس الإنسانية التي يروم النص الجهر بتداعياتها في أبعاده،((فالشعر يزاوج أحيانا الظواهر داخل حتمية الطبيعة، لكنه يتوحد مع المؤثرات ومسبقات أدوات التعبير، يلتقي مع لحظتها الصدفوية من خارج جدله الواقعي))(١٨)، ويلجأ النص في هذا المسار إلى أسلوب يبحث عن ملامح بيئة ترشح تداعيات البكاء كثيمة ترمز الى مكامن بعيدة في الداخل عبر استشفافها للتحدث عن تجارب تمثل الجانب الضعيف في الذات، وتمثل في فضاءاتها صلات الأنا مع الكون، تقول:

عاينت دجلة تنضح الغثيان طوفانا
من الإثم المغلف بالبكاء !
وسبيّة الغجري تجري
في نعال القار، يطحنها الردى !
ماذا تقول ؟!
ركدت بجوف القمقم المرميّ للنسيان كثبان
من الأحلام !
((وتحولت أمم))
وكبت بعنف الريح أعواد
بلا أعلام (١٩)

ويعمد النص عند استخدام البكاء كفعل ورمز إلى إثارة أطر تشتغل على كشف عوامل في النفس الإنسانية تنتمي إليها هواجس تبرز في حالة الموت الذي يبدو مستقرا لصلات تستوقف في مداراتها حيوات تتشكل في علائق ماضية، وتشتمل على كشف مواطن ترتبط ارتباطا فاعلا مع الأنا الذي يتبدى بحالات تتمظهر ملامحها بالقول بالبكاء عند زوال العالم الذي يضمه مع مفقود لا أمل في رجوعه مطلقا، فتقول:

ودروع جرأتنا بقاع البير، تبدو كالحطام!
تنهد.. أم تبكي على الرمس
والليل ذكرى توقد الأجراس كل عام
هبت لها الأشباح كالطوفان
من مضاجع الأمس
وشباك ذاك اليوم، ما اهتزت بإيماء
ها أنت.. لم تشعل دماء الأمس كالياقوت
لم توقظ سنان الريح إلا بالكلام
وأنا هنا!!
ما زلت ألهو عبر طوق للظلام..
أتنفس الوهم الذي
تنداح فيه قبضتي !! (٢٠)

فالمداخل التي ترد في موضوع الموت تبعث في النص ضوءا يشف عن موقف الأنا، الذي يمثل حالة الوحدة ويوحي إلى بيئة مرفوضة ينتمي إليها الأنا في الوقت الآني.

٤/ الزمن:

يتخذ الزمن عند القول بالبكاء عبر فعله ونسيان لذة الدمع لاستجلاء تجارب جاء البكاء فيها رمزا لقيم تتواصل بها الأنا مع الكون،((ويكون الإبداع نفسه عملية قراءة للزمن وللكون، وعاقد الربط–هنا–هو التشريح النصوصي إبداعا وقراءة؛ فالمبدع يشرّح ذاكرته الحضارية مستندا إلى حسه الجمعي بذاته وبعالمه الدائر فيه عطاء وأخذا، والقارئ يشرّح النص بناء على تلاحمه معه، بعد أن أصبح انبثاقا لغويا لعالمه الذي يشترك فيه مع المبدع ومع الموروث الرافد للإبداع))(٢١)، ويلتزم النص مشاهدا تصور حراك المشاعر التي تعتري الذات في مدار يرشح تداعيات الزمن ومسيرته، التي ولجت في مواضع تتبع من رغبة كبرى تجسد في جزيئات تستشف أعماق الأنا عند القول بفعل البكاء، وتتمظهر بالقول بأحداث منتزعة من تجارب تصور انطباعات يجترها الزمن في دورانه، كما في قولها في قصيدة(لم يكن ذاك.. نهار..):

ليتها.. لا تتغنى بالتعاويذ الحزينه
والعتاب
صوتها.. يقطر في قلبي عذاب
ودوار.. ودوار..

أي وقت نحن فيه؟
لم يكن ليلا ولا ظل النهار!!
تسبح اللحظات في جوف الكآبه
صوت أمي يتهاوى برتابه
حيث ظلت زمنا تبكي النهار
وشبابه (٢٢)

ويمتلك القول بالبكاء مترادفا مع الزمن رؤيا تنتمي إلى مناخ خاص تبدت مقتربا ينطوي على حالة إحباط تحيط بالذات، ويتحسس النص في هذا البعد هواجس الأنا التي تتقاطع مع جريان الزمن، وتلتزم الكشف عن ثقله المستمد من عمق تجارب متضدة بتوتر، تقول:

ولماذا ؟
أنت تبكين بعبره
بؤس أيوب وصبره
وسجين الحوت أعواما كثار..
لم يكن ليلا.. ولا ظل النهار
تسبح اللحظات في لون الكآبه!
وسئمت اللحن من جوف الرتابه!
لم لا ترغو ركامات الضجر
لتريها، لعنة المغلوب، نقمات السنين (٢٣)

وتتبدى معاناة النحن متأججة في فضاء الزمن المكتنز إشارات لأحداث تستجلي حكم الزمن عبر دوال تستدعي منظومة لتعاقب مسيرته، ومتلاحمة مع الإحساس بالمرارة التي يفصح عنها النص عند القول بفعل البكاء الذي تشكل بمسار يتحسس كوامن الأنا، وينتهي إلى التعريف بأزمة الذات في صلتها مع الكون التي تثار في آفاق النص للتعريف بموقف الأنا المرتبك مع نمو تجربته بالكون، فتقول:

نحن من هزته آلام الجدار!!
حين نادينا نهار!
لم تدر فيه سحابه!
لو رأيت الومض في عينيه إيمانا، فما
طافت الذكرى على عينيك مره
فلماذا؟

أنت تبكين بعبره
بؤس أيوب وصبره!
وسجين الحوت أعواما كثار
لم يكن ذاك نهار!! (٢٤)

ويستلهم موضوع الزمن بالتعاضد مع القول بالبكاء الجهر بهواجس مكبوتة تجاه مساره وتتفحص ملامحه عبر آفاق ولجت تداعياتها عبر تمظهرات تلاحمت مع مبنى البكاء فعلا إنسانيا يتخذ للتعبير عن حرقة تستشف الداخل الحزين، تقول في قصيدة(المدينة الأخرى):

وأنا جلت صحارى، ومن البعد أتيت
وهنا ألف عتاب
موغل الكف.. مصفّح!
فخذيني.. لمهادي الكهف يا أرض خذيني!
لأداري ظل دنيا لست منها
ووراء الصمت يهوي، ألف باب..
عبرتنا الشمس.. فانهدّت رؤانا
وتخدرت طويلا.. فانتهيت
وبكيت! (٢٥)

وينطوي الزمن بالتعاضد مع القول بالبكاء على مواقف تتسم بمبنى يلخص علاقة الأنا بالكون عبر إطار يتعالق مع الذات وحاجاتها، التي تتصور في فضاء النص وتعكس تطلعات خاصة وتمرد يعتمل في الداخل بالقول بقلق تتمظهر ملامحه كإسقاط للتوتر الذي يشد الذات إلى **عالم متمنى، كما في قولها في قصيدة(طبول الريح):**

فليت السير ما خبت مقادمه
وليت الريح جنح راجع..
ينهدّ من واد الى وادي
((أيا سرب القطا)) هل من يعير جناحه؟
إذا أرغت عروق النار في بارودنا الصادي!
وها انّا..
تدهورنا بجرح الأرض
جفلنا عندما أغفت صوارينا

بكينا نجمة عبثت الأيام من عام إلى عام
إلى عام (٢٦)

ونجد في هذا المسار تكشف أحوال وردت في بعد يأخذ متتاليات الزمن باقترانه دلاليا مع البكاء كرمز، لينطوي على معاناة يجتر النص فيها الزمن الماضي عبر نبرة تجتاح مسارات الداخل الأنثوي، وترصد حالات الخوف والتردد والهموم التي تستنزفه،((فإن أي تركيب لغوي رمزي أو مجرد، يقوم خارج التعبير الممتلئ دلالة، لن يحمل مصداقية النظر إليه بوصفه مثلا للنظام اللغوي وأن هذا يدل على أن الاقتران الدلالي يعد ضرورة لا يستطيع النظام اللغوي من غيرها أن يفصح عن نفسه بوصفه نظاما))(٢٧)، وتترشح في آفاق النص تجارب مرتبطة بمبنى البكاء تكشف معاناة وضعف يستولي على الأنا في فترات من عمر الزمن، كما يعلن عن موقف الذات تجاه الزمن والتيه الذي يعتري الداخل في لحظات منه، تصور علامات بارزة من فكره، تقول:

وقفت أمام سور الليل فانهدت
رؤى ماضيك للنظر
وينمو السور في عينيك
((كيف تحركت أعواده جهرا))!!
وكيف تغوص فيه مدينة الأقداس
طرقت الباب تلتمسين درب الأمس
فانهدت بوجهك طغمة الحراس!
عجبت اليوم هل هذي مدينتك!!؟
ومن أين الذين اليوم عند السور كالإبر!!
بكيت بقلبك المحروث حين وضعت كالشطرنج
للقدر!!
وحين فقدت الأرض، كل الأرض
ثانية (٢٨)

وتتجلى في البعد الذي ينتمي إليه الزمن عبر استشفاف ثيمة الدمع مظاهر تكشف عن حالات نفسية تتعالق مع مسارات الزمن، ويحفل بمشاهد تشف عن الذات عبر رؤيا تتشكل جزيئاتها بإطار يخاطب الكون والآخر بتداعيات تتجسد في أبعاد تقع في فضاء يحتوي مدلولات مستلة من تجليات مروره التي تتلاحم مع البكاء كرمز يرسم بنى تستجلي ظواهر النفس المتعالقة مع هاجسه الذي يسكن في معاناة التجربة التي تمر بمديات خاصة من عمر الزمان، نحو قولها في قصيدة (الظل والحجارة):

ليلنا الممدود جنح النوم فيه يتوتر
ونعاني لعنة الأفكار ثقل البذل
أسوار الضلال
كل شئ في مآقينا تحجر..
فنسينا لذة الدمع المسال
شهقة الأحزان فينا، تتمطى
نجبل الأحلام من روح الرمال
وصرخنا..
نركل الجدران في ليل المحال
لعنة تجثو..للمع لا ينال (٢٩)

ويشف البكاء عن أحاسيس تصب في مسار يبرز نواحي خاصة في النفس تمتلك توصيفا يضئ الداخل، الذي يتمظهر في معالم تشغل حيزا يتموضع في بعد يستدعي جوانب منها لتصوير ملامح تفصح عن تجليات مواقف متعالقة مع سيرورة الزمن،((فالزمان حركة متصلة ولذلك يسعى الشعر للاتصال بهذه الحركة والسعي معها إلى لا نهائيتها))(٣٠)، وتترشح في فضاء النص مشاهد تكشف عمق آلام متلاحمة مع الكون بعناصر تتصور جزيئاتها في المنجز الشعري الذي تبدى صورة تعد كأثر نفسي يستشف خطاب الأنا مع الكون، وتموضعه في بيئة لمدركات روحية تكتنف علائقا تصاغ في المنجز الإبداعي الذي ينتمي إليه مبنى الزمان متعالقا مع ثيمة البكاء وتداعياتها، تقول:

وتدور أكداس السنين، تمدّ أهدابا من الضجر!!
وأنا هنا
ختمت عليّ مشيئة الشيطان في خبر!!
لما تدق سواعد الأجراس
والأجراس بكماء
تبكي من الشبيك واللبيك
والأفواه خرساء
تبكي من الشبيك واللبيك (٣١)

الهوامش:

١. الفدائي والوحش، آمال الزهاوي، ٥٨ .

٢. الشعر النسوي في العراق مضامينه وخصائصه الفنية من الحرب العالمية الثانية حتى ثورة تموز ١٩٥٨، علي محمد حسين الخالدي،٩ ،(رسالة ماجستير).

٣. الفدائي والوحش،٢٠ .

٤. نفسه، ٥٧ .

٥. المدخل الى علم الأدب، تأليف مجموعة من الكتاب الروس، ٤٥ .

٦. الفدائي والوحش،٣٣ ،٣٤ .

٧. نفسه،٣٨ .

٨. نفسه، ٦١ .

٩. نفسه، ١١ ،١٢ .

١٠. البنى الشعرية، دراسة تطبيقية في الشعر العربي، عبدالله رضوان،١٧٣ .

١١. جمالية الموت في مراثي الشعراء المخضرمين(الخنساء–مالك بن الريب–أبو ذؤيب الهذلي)،عامر الحلواني،٨٤ .

١٢. الفدائي والوحش،٢٦ ،٢٧ .

١٣. نفسه،٢٩ .

١٤. نفسه،٣٤ .

١٥. الوعي الشعري ومسار حركة المجتمعات العربية المعاصرة، محمد مبارك،٦١.

١٦. الفدائي والوحش،٤٢ .

١٧. نفسه،٧٤ .

١٨. الشعر والأسطورة، موسى زناد سهيل، ١٠٨ .

١٩. الفدائي والوحش،٧٥ ،٧٦ .

٢٠. نفسه، ٧٦، ٧٧ .

٢١. تشريح النص،عبدالله محمد الغذامي، ٥٩ .

٢٢. الفدائي والوحش، ١٤ ،١٥ .

٢٣. نفسه ،١٦ .

٢٤. نفسه ،١٨ .

٢٥. نفسه، ٣٩ ،٤٠ .

٢٦. نفسه، ٤٣ ،٤٤ .

٢٧. اللسانيات والدلالة، د.منذر عياشي، ٥٤ .

٢٨. الفدائي والوحش، ٦٣ ،٦٤ .

٢٩. نفسه، ٨ ،٩ .

٣٠. العقل الشعري/الكتاب الأول،خزعل الماجدي، ٩٩ .

٣١. الفدائي والوحش، ٧٢ .

المصادر:

- البنى الشعرية دراسة تطبيقية في الشعر العربي،عبدالله رضوان، دروب للنشر والتوزيع،الطبعة العربية،٢٠١٠،عمّان،الأردن.
- تشريح النص،عبدالله محمد الغذّامي، ط٢ ،٢٠٠٦ ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء(المغرب)، بيروت(لبنان) .
- جمالية الموت في مراثي الشعراء المخضرمين(الخنساء–مالك بن الريب–أبو ذؤيب الهذلي) قراءة أسلوبية، عامر الحلواني، مطبعة التسفير الفني، صفاقس، تونس، ط١ ،٢٠٠٤ .
- الشعر النسوي في العراق مضامينه وخصائصه الفنية من الحرب العالمية الثانية حتى ثورة تموز١٩٥٨،علي محمد حسين الخالدي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٨ .
- الشعر والأسطورة، موسى زناد سهيل، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد ٢٠٠٨ .
- العقل الشعري/الكتاب الأول، خزعل الماجدي، ط١، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة.
- الفدائي والوحش، آمال الزهاوي، دار العودة، بيروت، ط١، ١٩٦٩، مطبعة عيتاني الجديدة .
- اللسانيات والدلالة، د. منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط٢، ٢٠٠٧، حلب، سورية.
- المدخل إلى علم الأدب، تأليف مجموعة من الكتاب الروس،ترجمة: د.أحمد علي الهمداني،ط٢ ، ٢٠١٠م، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمّان، الاردن.
- الوعي الشعري ومسار حركة المجتمعات العربية المعاصرة، محمد مبارك،ط١، بغداد ،٢٠٠٤ ، دار الشؤون الثقافية العامة .